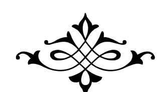
وصايا في أوقات الفتن



لفضيلة الشيخ

سليمان بن ناصر العلوان

وصايا في أوقات الفتن



لفضيلة الشيخ:
سليمان بن ناصر العلوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد كان أئمة السلف في زمن الفتن وأوقات المحن يجتهدون في أمرين عظيمين ويثنون الركب عليهما ويحثون الناس على ذلك ويرغبونهم فيه؛ لأن الفتن مضلة أفهام ومزلة أقدام.

وقد جاء في حديث ربعي بن حراش عن حذيفة في صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودا، فأي قلبٍ أُشربها نُكت فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نكت فيه نكتةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا لا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًّا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا يُنكر منكرا إلا ما أشرب من هواه).

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في الحديث عن الفتن وفي الحديث عن المسارعة في الأعمال الصالحة في مثل هذه الأوقات، ففي حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة وهو في مسلم: أن النبي ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم).

فقد حث النبي ﷺ على المسارعة إلى الأعمال الصالحة في زمن الفتن وقال: (بادروا) وهذا أمر، والأصل في الأمر أن يفيد الوجوب.

والمقصود بالأعمال: أداء الواجبات والتخلي عن الرذائل والمحرمات، والمسارعة إلى أداء السنن والطاعات، والتخلي عن المكروهات؛ لأن العبد في مثل هذه الأوقات أحوج ما يكون إلى ربه.

(بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا).

وقد كان أئمة السلف في مثل هذه الأوقات يحرصون على أمرين:

- العلم.
- والعبادة.

ولذلك العبادة في وقت الهرج - أي: القتل - قال رسول الله ﷺ: (كهجرة إلي) رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه.

فالعلم نور وبصيرة ومنار وتجلية للحقائق وإزالة للغوامض؛ لأنه في أوقات الفتن يظهر المنافقون والذين في قلوبهم مرض، يلبسون على الناس ويقلبون الحقائق ويوغرون في صدور المؤمنين ويرجفون بهم ولا

سيما في أوقات الحروب كوقتنا هذا، فإنهم يُكثِّرون أعين اليهود والنصارى والمشركين، ويقللون المؤمنين، يرجفون ويرعبون.

ونحن نعرف أن النفاق له دورٌ كبير في إزالة دول وحكومات وإسقاط عروش، ومناصرة لليهود والنصارى، ولذلك كان النبي ﷺ يحذرهم ويُخبر حذيفة بأسمائهم، وقد ذكرهم الله جل وعلا في صدر سورة البقرة في ثلاثة عشر موضعا بما لم يذكره لا عن المؤمنين ولا عن الكافرين، ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿هم العدو﴾، وأنزل الله جل وعلا فيهم عدة سور كبراءة وسورة المنافقون، ولا تخلو سورة من ذكرهم وبيان حقيقتهم وواقعهم وتربصهم بالمؤمنين.

وقد أمر النبي ﷺ بالحذر منهم في أوقات الفتن، وعدم السير على مناهجهم، والحذر من زخرف أقوالهم؛ لأنهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

فالعلم في الحقيقة بصيرة من هذه الأمور.

والعمل ثبات، وبُعد عن القيل والقال والغيبة والنميمة؛ لأن الناس في آخر الزمان تكون أقوالهم أكثر من أفعالهم.

وكثيرٌ من الناس يتحدث ويتكلم وليس له أي جهد في توجيه الأمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ترغيب الناس بالخير ونحو ذلك.

فلذلك أمر النبي ﷺ بالمبادرة بالأعمال فقال: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم).

ثم إن الأعمال مشروعٌ أداؤها والتعبد لله جل وعلا بذلك ولو لم يكن ذلك في أوقات الفتن، ولكن في هذا الوقت تتأكد أكثر ويتعين أمرها.

ويتعين في هذه الأوقات عدة أمور:

الأمر الأول: الاشتغال بطلب العلم وتحصيله، وحث الناس وترغيبهم في ذلك، وربطهم بالعلماء الصادقين والدعاة المصلحين الذين يقولون الحق حيثما توجهت ركائبه ولا يخافون في الله لومة لائم، فهؤلاء هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، قال الله جل وعلا: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا﴾ أي: كافيًا ومؤيدًا وناصرا.

وقال الله جل وعلا: ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾ أي: يكفيه شر ما أهمه ويكفيه شر أعدائه.

المهم أن يقوم بأمر الله قائمًا وقاعدا، وأن يجاهد في دين الله بلسانه وماله ونفسه، ولا يضره من خذله ولا من خالفه؛ لأن الله جل وعلا تكفل بنصر هؤلاء وتأييدهم، وأخبر النبي ﷺ بوجود المخالفين والمناوئين لهم، كعزاءٍ لهم؛ حتى لا يثنيهم جعاجع الآخرين ولا قيامهم أو تبديعهم أو تضليلهم أو تفسيقهم أو غير ذلك؛ فيكون هذا كالتثبيت لهم.

فقد تواتر عن النبي ﷺ من رواية خمسة عشر صحابيا أنه قال: (ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى).

وجاء في صحيح مسلم من حديث عقبة قال ﷺ: (ولا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى).

وجاء في سنن أبي داود من رواية حماد بن سلمة عن قتادة، كذلك في حديث عمران: عن مطرف عن عمران: (حتى يقاتل آخرهم الدجال).

الأمر الثاني: الاجتهاد في العبادة، من أداء الواجبات من الصلاة والصيام والصدقة وأداء حق الله جل وعلا والمسارعة إلى ذلك وأدائه على الوجه المطلوب.

ومن الانتهاء عن المحرمات مما نهى الله عنه من الفواحش وشرب الخمر والربا والغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ونحو ذلك.

والمسارعة إلى أداء النوافل، ففي الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه من رواية خالد بن مخلد القطواني قال: حدثنا سليمان بن بلال عن شريك عن عطاء عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال فيما يروي عن ربه: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه).

الأمر الثالث: مناصرة المسلمين في كل مكان والحذر من التخلي عنهم، فإن مناصرة المسلمين مما تقتضيه الأخوة الإيمانية، قال الله جل وعلا: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ أي: ينصر بعضهم بعضا.

ونحن نرى الآن أن المنافقين يتناصرون مع الصليبيين، وأن الصليبيين يحاربون المسلمين، إذًا ماذا صنعنا لإخواننا المسلمين في كل مكان وماذا قدمنا لهم؟! والنبي ﷺ قال والحديث في صحيح مسلم: (ولا يخذله).

فالتخلي عن نصرته بالنفس أو بالمال أو بالدعاء أو باللسان يعتبر ضربًا من ضروب الخذلان، وفي ذلك وعيدٌ شديد.

وتخلي المسلمين عن مناصرة إخوانهم مما يعزز موقف الصليبيين ومما يعزز قوتهم، ومما يجعل المسلمين في العراق أو في أفغانستان أو في الشيشان أو في فلسطين لقمةً سائغة لليهود والنصارى وأعوانهم من المنافقين.

ولذلك يتعين في مثل هذه الأوقات عدة أمور:

الأمر الأول: القنوت: وقد قنت النبي ﷺ في الظهر والمغرب والعشاء، وهذه الأحاديث متفقٌ على صحتها، وقنت النبي ﷺ في الفجر، والأحاديث في ذلك متواترة.

وجاء في حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قنت في العصر، رواه أبو داود وغيره.

وحين قنت النبي ﷺ في الظهر وهي صلاة سرية؛ فهذا دليلٌ على جواز القنوت أيضًا في العصر.

والصواب من قولي العلماء: أنه يجهر في قنوته والناس يأمنون على ذلك.

والسنة في القنوت: أن يبدأ بالدعاء للمستضعفين من المؤمنين وأن يلعن الكافرين؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان في دعائه يلعن الكافرين ويدعو عليهم.

ولا حرج أن يطيل الدعاء إذا كان المأمومون يؤثرون ذلك، وقد كان عمر رضي الله عنه يطيل الدعاء رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

ولا حرج من ختم الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ؛ لفعل الصحابة، روى ذلك ابن خزيمة وغيره بسندٍ صحيح.

ويستمر القنوت حتى تزول النازلة، ولو بقيت إلى قيام الساعة، فهذا ضرب من المناصرة، والدعاء له تأثير كبير في نصرة المؤمنين، ولذلك كان النبي ﷺ يلح على ربه في غزوة أحد، والصحابة رضي الله عنهم يلجؤون إلى الله جل وعلا في غزواتهم وفي حروبهم لأن لا ملجأ من الله إلا إليه.

إذا انقطعــت اطمــاع عبــدٍ عــن الــورى ... تعلـــق بالـــرب الكـــريم رجـــاؤه
فأصــــبح حــــرًا عــــزةً وقناعـــــةً ... علـــى وجهـــه أنـــواره وضـــياؤه
وإن علُقـــت بالخلـــق أطمـــاع نفســـه ... تباعـــد مـــا يرجـــو وطـــال عنـــاؤه
فـــلا تـــرجُ إلا الله في الخطـــب وحـــده ... ولـــو صـــح في خـــل الصـــفاء صـــفاؤه

ولا حرج أن يقنت في بعض الصلوات دون بعض، ولا حرج أن يخصص وقتًا يقنت فيه دون غيره. وإذا خشي على نفسه من لحوق ضرر فلا بأس بترك القنوت، ويُلح على الله جل وعلا في سجوده، ويرشد الناس إلى ذلك.

وهذا من أقل ما يقدمه المسلمون لإخوانهم، فالحرب صليبية، أعلنها ذلك أئمة الكفر.

الأمر الثاني: مناصرتهم باللسان، من تشجيعهم ومكاتبتهم ومراسلتهم ورفع هممهم.

الأمر الثالث: مناصرتهم بالمال، من الزكاوات والصدقات، فهذا مما تقتضيه الأخوة الإيمانية، وهذا مطلب من مطالب الشريعة، وفي الصحيحين قال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وفي الصحيحين أيضا (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).

فالمسلمون اليوم بحاجة إلى أموالكم وإلى صدقاتكم، فإنه لا يقوم الجهاد ولا تقوم المقاومة إلا بالمال، فالمال عصب الجهاد وعصب الحياة، والدعم بالمال يتمثل بأمور:

الأمر الأول: وضعه في مواجهة العدو.

الأمر الثاني: وضعه في عوائلهم ومناصرة أسرهم لأن النبي ﷺ قال: (من جهز غازيًا فقد غزا) والخبر في الصحيحين.

الأمر الثالث: الجهاد من الناحية الإعلامية، في تصوير الحقائق على ما هي عليه والنكاية بالمنافقين الذين يتربصون بالمؤمنين في أوقات الفتن، ولذلك في حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال ﷺ: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم).

ولذلك قدم الله جل وعلا في كتابه الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس إلا في موضع واحد ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾ أي: (بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم).

الأمر الرابع: بذل النفس في ذلك ما وجد العبد إلى ذلك سبيلا وهم بحاجة إلى أهل الكوادر وأهل التخصص وأمثالهم، وليسوا بحاجة إلى كل شخص.

أيضا بعض الناس يذهب بدون مشورة ويذهب بدون ترتيب فيكون عرضة للاعتقال ونحو ذلك وهذا غلط.

ويتعين في هذه الأوقات الصبر وعدم استعجال النتائج وتوضيح حقيقة النصر للمسلمين؛ لأن الكثير يفهمون من حقيقة النصر أنه النصر العسكري، يريدون ما بين عشية وضحاها على ذنوبهم ومعاصيهم وإسرافهم في أمرهم أن يطردوا العدو وأن ينكوا به! وهذا لا يتأتى.

نحن نعرف أن الصحابة ﷺ بخطأ واحد هُزموا في غزوة حنين، الصحابة وهم! وهم! في العلم والإيمان والدعوة إلى الله جل وعلا والصبر والتوكيل وحقيقة الأخوة وتوحيد الصفوف، حين أعجبوا بكثرتهم في غزوة حنين غُلبوا وهُزموا وولوا مدبرين، قال الله جلا وعلا: ﴿ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾.

إذًا الأمة بحاجة إلى عودة إلى الله جل وعلا بتصحيح المسار بالتوحيد والاعتقاد.

والذين ينادون الآن بالوحدة ينبغي أن تكون الوحدة على التوحيد وليست الوحدة على البدع وعلى الوثنية وعلى القبورية وعلى التصوف وعلى دعاء غير الله أو الوحدة مع الرافضة أو الوحدة مع أعداء الدين الذين يتواطؤون مع الصليبيين على المسلمين.

فالوحدة مع أهل السنة الوحدة، والوحدة مع أهل الحق، الوحدة مع الذين يحملون هم الإسلام ولو كان عندهم بعض البدع والانحرافات ما دامو يحملون هذا الإسلام.

أما من كان عونًا للصليبيين على المسلمين فلا وحدة معه.

ومن ذلك أيضًا: البعد عن الذنوب وعن المعاصي؛ فإن ذلك من أسباب الهزيمة: هزيمة نفسية وهزيمة عسكرية.

فالنصر الحقيقي هو نصر المبادئ، فإن المسلمين حين ينتصرون بمبادئهم وثباتهم يعتبرون منتصرين، ويأتي النصر العسكري مرحلة ثانية، ولذلك قال الله جل وعلا عن أهل الأخدود: ﴿وذلك الفوز الكبير﴾ ولم يذكر الله جل وعلا في كتابه ﴿وذلك الفوز الكبير﴾ إلا في هؤلاء، مع أنهم أبيدوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد! وسمى الله جل وعلا ذلك فوزًا كبيرا.

ليس في القرآن ﴿وذلك الفوز الكبير﴾ إلا في هذا الموطن، في القرآن ﴿وذلك الفوز العظيم﴾، ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾، ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾، ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ وليس في القرآن ﴿وذلك الفوز الكبير﴾ إلا في أصحاب الأخدود الذين أبيدوا عن آخرهم ولم يبقَ منهم أحد.

سمى الله جل وعلا ذلك فوزا؛ لأن مبادئهم قد انتصرت.

والله جلا وعلا قال في أنبيائه: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ ونحن نعرف أنه قُتل عدد كبير من الأنبياء، كما قال ﷺ: (والنبي وليس معه أحد).

والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن والسنة أن بني إسرائيل كانوا يقتلون الأنبياء، ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾، ﴿ويقتلون النبيين﴾ وغير ذلك من الأدلة الدالة على قتلهم للأنبياء، وسمى الله جل وعلا ذلك نصرا ﴿إنا لننصر رسلنا﴾.

وحين وقعت الفتنة في عصر الإمام أحمد ودُعي الناس إلى القول بخلق القرآن ثبت في ذلك عدد من الأئمة، فحين زادت المحنة أجاب من هؤلاء: يحيى بن معين وعلي بن المديني، ولم يبقَ إلا ثلاثة: الإمام أحمد، ومُحَّد بن نوح، والخزاعي.

فقُتل الخزاعي وعُلق رأسه بسامراء ستة أعوام، وتوفي مُحَّد بن نوح في السفينة، وأثنى عليه الإمام أحمد وأثنى على الخزاعي قال رحمه الله: لقد جاد بنفسه، وأثنى على مُحَّد بن نوح وأنه قد ثبت مع أنه قليل العلم صغير السن.

ولم يبقَ في هذه الفتنة إلا الإمام أحمد ولذلك حين قال بعض أصحابه: يا أبا عبد الله ألم ترى كيف انتصر الباطل على الحق؟ قال الإمام أحمد: كلا ما دامت القلوب ثابتة فالحق هو المنتصر.

لا توحشنك غربةٌ بين الورى ... فالناس كالأموات في الجبان
أو ما علمت بأن أهل السنة ال ... غرباء حقًا عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه ... والتابعون لهم على الإحسان
من جاهلٍ ومعاندٍ ومنافقٍ ... ومحاربٍ بالبغي والطغيان
و تظن أنك وارثٌ لهم وما ... ذقت الأذى في نصرة الرحمن
كلا ولا جاهدت حق جهاده ... في الله لا بيدٍ ولا بلسان
منتك والله المحال النفس ... فاستحدث سوى ذا الرأي والحسبان
لو كنت وارثه لآذاك الألى ... ورثوا عداه بسائر الألوان

ويقول ابن القيم أيضًا:

فالحائز الخمسين أجرًا لم يحزها ... في جميع شرائع الإيمان
هل حازها في بدرٍ أو أحدٍ أو الـ ... فتح المبين وبيعة الرضوان

بــل حازهـــا إذ كـــان قـــد فقـــد المعيـــ ... ـــن وهـــم فقـــد كـــانوا أولي أعـــوان

والـــرب لـــيس يضـــيع مـــا يتحمـــل الـــ ... متحملـــون لأجلـــه مـــن شـــان

فتحمـــل العبـــد الوحيـــد رضـــاه مـــع ... فـــيض العـــدو وقلـــة الأعـــوان

ممـــا يـــدل علـــى يقـــينٍ صـــادقٍ ومحبـــةٍ ... وحقيقـــــــــة العرفـــــــــان

يكفيـــه ذلاً واغـــترابًا قلـــة الـــ ... أنصـــار بـــين عســـاكر الشـــيطان

في كـــل يـــومٍ فرقـــةٌ تغـــزوه إن ... ترجـــع يوافيهـــا الفريـــق الثـــاني

هـــذا وقـــد بعـــد المـــدى وتطـــاول ... العهـــد الـــذي هـــو موجـــب الإحســـان

فالمؤمنون في أوقات الفتن يثبتون ويزدادون إيمانًا وصبرًا وثباتًا ولذلك يقول النبي ﷺ: (إذا لقيتموهم فاصبروا) والحديث متفق على صحته.

والله جل وعلا يقول وهو أصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ أي: ثباتا في المواقف، بخلاف المنافقين: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ فيتساقطون في أوقات الفتن.

والذين ينضمون إلى حزب الشيطان يناصرون الشيطان بالكلام ويخذِّلون المؤمنين ويرجفون بهم ويقولون: لا طاقة لنا بالعدو!

وهل انتصر الصحابة بعدد أو عُدد؟! جميع ما غزا النبي ﷺ وواجه فيه العدو كان أقل من خصمه في العدد والعُدد، حتى غزوة حنين التي أخبر الله أنهم بكثرة؛ كانوا أقل من العدو عددًا وعُددا.

فالناس يقاتلون بالدين، يقاتلون بالإيمان، يقاتلون بالاعتقاد، يقاتلون بالصبر، يقاتلون بالثبات، يقاتلون بالمبادئ، لا يقاتلون لا لوطنية ولا لتحزب ولا لعصبية ولا لغير ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) والخبر متفق على صحته.

وكما جاء في الصحيحين من حديث عمر قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات.. فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

والجهاد أنواع: النوع الأول: جهاد اللسان فالأمة بحاجة إلى علماء وإلى طلبة علم وإلى دعاة وإلى وعاظ وإلى مفكرين يواجهون الانحرافات الموجودة في المجتمع، يواجهون الرافضة، يواجهون العلمانيين

يواجهون الملبسين والمنهزمين، يواجهون المسمَين بالعصرانيين والعقلانيين، يواجهون هؤلاء على قدر طاقتهم بما توجبه الأدلة من الكتاب والسنة دون ظلم أو عدوان على الآخرين، فإن الأمة لا تنتصر إلا بالحق وإقامة العدل على كل أحد، فإن العدل مما يحبه الله ويحبه رسول الله ﷺ، ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ مع المسلمين أو مع الكافرين.

النوع الثاني: جهاد المال، في طباعة الكتب، ودعم الدعاة والمصلحين، ومواجهة الأفكار المنحرفة، ودعم المجاهدين ونصرتهم بما يمكن وبما يسمى نصرة، وكلٌ على قدر طاقته.

النوع الثالث: جهاد الثبات على الحق وهذا ضرب من ضروب الصبر، قال الله جل وعلا: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ لأنه قد يقيم العدل ويتمثل العدل في شخصه ولكن سرعان ما يذوب ذلك ويزول مع اشتداد المحن، فهو بحاجة إلى الصبر، وبحاجة إلى الثبات، وبحاجة إلى سؤال الله جل وعلا، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، (يا مصرف القلوب اصرف قلبي على طاعتك).

وكان أبوبكر الصديق رضي الله عنه وهو هو بالعلم والإيمان! وقد شهد له النبي ﷺ بالجنة، كان يقرأ في الركعة الأخيرة من صلاة المغرب بعد الفاتحة ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة﴾.

فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فحذاري! حذاري! من زيغ القلوب وامتزاج الأفئدة وتغير الحقائق في الأذهان!

وهذا الزيغ ينتج من أمور:

- قلة العمل.
- احتقار الآخرين.
- الازدراء.
- الاشتغال بالكلام دون العمل.
- التنقص من قدر الآخرين.
- الطعن في الآخرين بدون حق.
- السخرية من الآخرين.
- ترك نصرة دين الله وهو يقدر على ذلك.
- ممالأة الظالمين على المصلحين، قال الله جل وعلا: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾.

النوع الرابع: الجهاد بالنفس، وهذا أيضا مراتب كما تقدم، منه الجهاد بمعونة المقاتلين بالنفس والسير في طريقهم واللحوق بركبهم وهذا يعد من أفضل وأحب الأعمال إلى الله جل وعلا، وحين سُئل النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: (إيمانٌ بالله ورسوله) قيل: ثم ماذا؟ قال: (جهادٌ في سبيل الله) قيل: ثم ماذا؟ قال: (حجٌ مبرور) وهذا خبرٌ متفقٌ على صحته.



السؤال: [هل النصر خاص بالنصر العسكري][١] وهل له علامة؟

الجواب: ليس خاصًا، وليس له علامة.

وتقدم أن النصر غير مربوط بالنصر العسكري، مع أن النصر العسكري سيكون لهذه الأمة وسوف ينتصر المسلمون على الكافرين، فلا يأس ولا قنوط.

فنحن ننتظر فرج الله ونصره، وسوف يأتي اليوم الذي تتحد فيه كلمة المسلمين ويواجهون الغرب وينتصرون عليهم، حتى الشجرة يتكلم يقول: (يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله) وهذا غير مربوط بعصر الدجال أو خروج عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام؛ لأنه لم ترد رواية بربط هذا، فالأدلة عامة في النصر.

كذلك حديث صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، فلا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام أو ذلاً يذل الله به الكفر).

ومن البشائر أن الكفار لا يمكن أن ينتصروا مطلقا؛ فإن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية يبقون على الحق مقاتلين إلى أن تقوم الساعة، وهذا يبقى كونًا وهو مأمورٌ به شرعًا، وهو في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال عصابة يقاتلون على الحق).

الخصلة الأولى: (يقاتلون) وهذا يبقى كونًا كبقاء الليل والنهار.

الخصلة الثانية: أنهم (على الحق)، فقد مدحهم النبي ﷺ.

(١) سقط.

الخصلة الثالثة: أنهم قلة، والسبب أن الكثير يخذلونهم ويعتذرون عن مناصرتهم إما بقوة العدو أو بعدم استشارة أو بغير ذلك من الأعذار التي لا ينبغي للمسلم أن يتصف بها، والله جل وعلا قال: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾ فالذي يعتزم الخروج يعد العدة، أما أنه لا يعد عدة ولا يخرج، فهذه في الحقيقة وبكل أسف صفات لا تدل إلا على المنافقين، وما تُعرف عن المؤمنين! لأن الله ما ذكر إلا ثلاثة أمور: إما أن تقاتل، وإما أن تعد، ولم يذكر الثالث إلا المنافق!

لم يذكر إلا ثلاثة أمور، ما ذكر أمرًا رابعا!

وكان الصحابة رضي الله عنهم يناصرون الروم على فارس؛ لأنهم أقرب إلى الحق، وكذلك أبو بكر كان يراهن المشركين على مائة ناقة أن ينتصر الروم على فارس! وهذا رواه أبو عيسى وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء﴾.

الروم كانوا أهل كتاب والفرس كانوا وثنيين فكان الصحابة يحبون انتصار الروم على فارس ويناصرونهم ويراهنون المشركين على مائة ناقة أن هؤلاء سوف ينتصرون، ولذلك أفتى علماء الأندلس حين وقعت الحرب بين الخوارج والنصارى بمناصرة الخوارج على النصارى؛ لأنهم أقرب إلى الحق.

ولا سيما الصليبيين الآن يردون الإسلام، ويعلنون في كل موطن أنهم يريدون الإسلام، ولذلك اعترف أحد شياطينهم قبل أيام أنهم يخططون لضرب أفغانستان قبل أحداث سبتمبر، ويخططون للعراق قبل ذلك، ولكنهم يقاتلون المسلمين ويستعمرون بلادهم تحت مسميات يناصرهم فيها المنافقون، تحت غطاء «حرب الإرهاب»!

ثم إن الإرهاب ليس بمذموم! هم يمارسون الإرهاب المنظم كقتل المسلمين وتشريدهم ونحو ذلك، وتعاون الحكومات العميلة معهم.

والله جل وعلا أمر بإرهاب الكفار ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾! فإذا كان يعنون بالإرهاب قتل الكافر الحربي فما أحسن هذا الإرهاب! لأن الله أمر به.

ولذلك قال ﷺ: (لا يجتمع في النار كافر وقاتله أبدا) رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه. فالحقيقة هم الإرهابيون على مصطلحاتهم؛ لأنهم يقتلون النساء والصبيان ويهدمون المساجد كما صنعوا قبل الأمس في الفلوجة! ويمارسون أقسى أنواع العنف!

فلذلك المسلمون مأمورون بمجاهدتهم وبمناصرة المسلمين على قدر الطاقة ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ كلٌ على قدر طاقته، كلٌ على حسبه، المهم أن لا نتخلى عن إخواننا وأن نناصر هؤلاء. وللإشارة: المقصود من ذلك: أن العلماء يرون أن نرفق بالمسلمين ما دام أنهم ضد عدو أكبر مهما كان بينك وبين هذا المسلم من الاختلاف، والأعذار التي تطرح الآن في أرض الواقع هي غير واقعية وغير صحيحة وغير مبررة لخذلانهم للمسلمين.

ثم أيضا: الإجماع منعقد على أن جهاد الدفع لا يشترط له شرط.

وهذا ما سأل عنه غير واحد من الإخوة في الجهاد في بلاد المسلمين الآن: هل يشترط له راية؟ هل يشترط له شروط؟

لا يشترط له شروط، ولا يشترط له راية؛ لأن هذا من جهاد الدفع، وجهاد الدفع لا يشترط له راية، يقاتل العدو بقدر الإمكان، ولكن لا حرج من التنظيم بل يندب إلى التنظيم والانضمام إلى راية تكون تنظيمية تحت قائد يوجِّه ويعلِّم ويرشِد ويأتمرون بأمره وينتهون عن نهيه، هذا مطلب إذا وجد المسلمون إلى ذلك سبيلا.

وحين لا يجدون إلى ذلك سبيلًا؛ فكلٌ يقاتل على قدر طاقته.

وقد حكى الإمام ابن عبد البر والبغوي والقرطبي وغير هؤلاء الإجماع: أن العدو إذا حل ببلاد المسلمين وجب مقاتلته حتى يُطرد، فإذا قامت الكفاية بهؤلاء وإلا وجب على الذين يلونهم مناصرتهم، وقد يطبق الوجوب على كل أهل الأرض.

وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وليس شيءٌ بعد الإيمان بالله ورسوله ﷺ أوجب من دفع العدو الصائل عن بلاد المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا * الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾.

فالذين يناصرون الصليبيين في حربهم على المسلمين هؤلاء يناصرون الطاغوت.

وقد ذكر الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى أن من ظاهر كافرًا على مسلم بأنه كافر ولا يختلف في ذلك اثنان من المسلمين، ومن أعان الكفار على المسلمين في حربهم واستعمارهم لبلاد المسلمين فإنه كافر.

وحكى الإمام ابن حزم الإجماع على هذا، قال: لا يختلف في ذلك اثنان من المسلمين.

وقد أفتى شيخ الإسلام رحمه الله في الفتاوى في كتاب الجهاد بأن من وقف في صف التتر غازيًا للمسلمين بأنه مرتدٌ عن دين الله جل وعلا.

وقال شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في نواقض الإسلام العشرة: من ظاهر الكفار على المسلمين، ومظاهرتهم هي معونتهم ومناصرتهم.

والذين يقيدون هذا بالمحبة هؤلاء غير مصيبين، وهذا ليس من مذاهب أهل السنة؛ لأن الله قال عن فعل حاطب وهو مجرد فعل، ولم يقترن بمحبة ولا شيء، قال: ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ سمى الله الفعل: مودة.

ثم أيضا: إن من أحب الكفار فإنه كافر ولو كان في محراب المسجد! لا يشترط أن يقف في صف الكفار!

ومن أحب انتصار دين الكفار على المسلمين فإنه مرتدٌ عن دين الله ولو كان راكعًا ساجدًا في المسجد.

والحديث عن سؤال الأخ في الحقيقة طويل والحديث ذو شجون.



السؤال: هل صحيح أن النبي ﷺ قرأ في صلاة المغرب بالطور؟ والمرسلات؟ وقرأ في صلاة الفجر بالنجم وحين سجد قرأ بسورة الإخلاص؟

الجواب: قوله: (هل صحيح أن النبي ﷺ قرأ في صلاة المغرب بالطور؟) نعم، هذا الخبر متفق على صحته.

قوله: (والمرسلات؟) نعم، هذا الخبر متفق على صحته.

قوله: (وقرأ في صلاة الفجر بالنجم وحين سجد قرأ بسورة الإخلاص؟) هذا ليس له أصل عن رسول الله ﷺ.



السؤال: حكم النظر إلى المردان بقصد الشهوة ونحو ذلك ؟

الجواب: العلماء لا يختلفون في تحريم هذا وأنه يحرم النظر إلى الأمرد أو إلى المرأة الأجنبية أو حتى إلى الأخت إذا كان بشهوة، وحكى بعض العلماء الإجماع على هذا، وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: من أدمن النظر إلى المردان وزعم أن هذا ليس بشهوة فإنه كذاب.

وقد كان السلف يحذرون من ذلك ويخافون على أنفسهم، والله جل وعلا أمر بغض البصر، فإذا خاف العبد على نفسه فإنه يغض طرفه،

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا ... لقلبك يومًا أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فيجب غض البصر عن النساء والمردان.

ويمكن تقسيم النظر إلى النساء إلى ثلاث مراتب، فنظر المرأة إلى الرجل ونظر الرجل إلى المرأة ينقسم إلى ثلاث مراتب:

القسم الأول: أن يقصد الرجل النظر إلى المرأة، أو تقصد المرأة النظر إلى الرجل: فهذا حرام ولو كان بغير شهوة؛ لقول الله جل وعلا: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾، ومنه حديث (أفعمياوان أنتما؟). رواه أبوداود والترمذي من طريق الزهري عن نبهان عن أم سلمة، وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

وقد صححه ابن حبان في صحيحه، وفيه خلاف.

وبالاتفاق على تحريم هذا النظر في أوقات الفتن وشيوع الفساد، حكى الإجماع على ذلك.

القسم الثاني: أن يكون النظر بشهوة: فهذا حرامٌ بالإجماع.

القسم الثالث: أن يكون النظر غير مقصودٍ لذاته: فهذا ليس بحرام، ومنه نظر عائشة إلى الحبشة وهم يلعبون بالدرق، والخبر في الصحيحين، وكنظر البائع إلى المرأة حين تريد الشراء، وكنظر المرأة المارة في الطريق بدون قصد النظر إليها، ونحو ذلك.

وهذا باستثناء عوارض الأدلة، فهذا التقسيم من حيث النظر.

